

ملخص برنامج الخاتمة - الحلقة (٢٥)

حديث في أجواء الأربعين - الجزء (١)

عبد الحليم الغزي

الخميس: ٢٠ / صفر / ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٠٢٠ / ١٠ / ٨ م

حديث في أجواء الأربعين

من كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في وصيته لكميل: (يَا كَمِيلُ، مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ).
سؤالي لكم: حينما تحركتم هذه الحركة أن توجهتم لزيارة الحسين في الأربعين هل كنتم على معرفة أصيلة مصدرها محمد وأل محمد بخصوص حركتكم هذه أو لا؟!

إذا لم تكونوا على معرفة أصيلة مصدرها محمد وأل محمد بخصوص حركتكم هذه فأنتم تتصرفون بسفاهة وحماسة، لأن الحكمة تقتضي أن تكونوا على معرفة بحركتكم هذه، خصوصاً وأن الحركة هذه ترتبط بهم صلوات الله عليهم بشكل مباشر.

في بادئ الأمر لابد أن تفرقوا بين زيارة الأربعين وحديث الأربعين:

حدث الأربعين: هو الحدث الأهم، حدث له زمانه ومكانه وتفصيله وشخصه.

أما زيارة الأربعين: فإنها طقس عبادي يأتي في سياق إحياء حدث الأربعين.

لابد أن تميزوا مثلما تميز بين عاشوراء وزيارة عاشوراء.

عاشوراء تشير إلى العشرة، رقم له دلالاته الرمزية التي ترتبط بمضمونه، والأربعون كذلك رقم هو من مضاعفات عاشوراء، وله دلالاته الرمزية.

- وعاشوراء الرقم عنوان لحدث له تفاصيله الخاصة به.

- والأربعون الرقم عنوان لحدث له تفاصيله الخاصة به.

وهناك طقوس:

- طقس منسك عبادي يرتبط بعاشوراء (زيارة عاشوراء).

- وطقس منسك عبادي يرتبط بالأربعين (زيارة الأربعين).

المشروع الحسيني تلك اللوحة المكتملة تتألف من جزأين:

- الجزء الأول عاشوراء، وهو حسيني صرف.

- والجزء الثاني الأربعون، وهو سجادي صرف.

وهؤلاء الذين يفككون بين هذين الجزأين من مراجع الشيعة أغبياء إلى أبعد الحدود لا يفقهون ثقافة العترة الطاهرة، ولا يحيطون علماً بأسرار حديثهم وكلامهم.

ويتماهى هذا الجزء مع ذلك الجزء، ومرحلة التأسيس لهما واحدة.

كتاب (عوالم العلوم) لشيخنا عبد الله البحراني من تلامذة المجلسي / طبعه مؤسسة الإمام المهدي / قم المقدسة / الطبعة الثانية / ١٤٢٥ هجري قمري / صفحة (٢١٣): يبدأ الحديث بسنده عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه يقول: جاء محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها عن مكة - الرواية طويلة أذهب إلى موطن الحاجة، في حديث سيد الشهداء مع محمد بن الحنفية: أتاني رسول الله بعدما فارقك فقال: يا حسين، أخرج إلى العراق فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ - وأنت خارج إلى القتل - فقال له: قد قال لي صلى الله عليه وآله: إن الله قد شاء أن يراهن سبياً - التأسيس واحد.

إذا ذهبنا مع ما يذهب إليه المراجع من الأحياء أو من الأموات من أن الإمام السجاد والعائلة ما وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر من نفس تلك السنة سيكون هذا الكلام لا معنى له أو أنه سيكون كلاماً مضطرباً لا دقة ولا حكمة فيه.

هناك حدثان يرتبط أحدهما بالآخر، يتكامل المشروع الحسيني عبرهما:

- بالضبط (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا).
- بالضبط (إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا).

فلنكَلِّ حَدَثَ مِنَ الْحَدِيثِ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، بِدَايَةِ وَنَهَايَةِ وَتَفَاصِيلِ وَعَنْوَانٍ وَرِمَزٍ وَإِشَارَاتٍ، بِرِنَامِجٍ مُتَكَامِلٍ، إِذَا قَلْنَا مِنْ أَنَّ الْعَائِلَةَ سَبَّيْتُ وَبَقِيْتُ فِي الشَّامِ مِثْلَمَا يَقُولُ أَكْثَرَ الْمُرَاجِعِ أَوْ أَنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَرَبَّمَا رَجَعَتْ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ إِلَى كَرْبَلَاءِ سَتَكُونُ الصُّورَةُ فَوْضُوِيَّةً، إِذَا كَانَتْ الْمَشْكَلَةُ عِنْدَكُمْ يَا مُرَاجِعِ النَّجْفِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ هِيَ فِي حِسَابِ الزَّمَنِ فَإِنَّكُمْ لَا تَفْقَهُونَ مَاذَا جَرَى فِي كَرْبَلَاءِ، وَلَا تَفْقَهُونَ شَيْئاً مِنْ أَسْرَارِ مَشْرُوعِ الْحُسَيْنِ، تِلْكَ مَشْكَلَتُكُمْ، عَاشُورَاءُ تَحَقَّقَ فِيهَا قَانُونُ نَشْرِ الزَّمَانِ، هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ حَلَقَاتٍ (قَوَائِنِ الطِّيِّ وَالنَّشْرِ) هِيَ جِزَاءٌ مِنْ حَلَقَاتِ بِرِنَامِجِ (الْكِتَابِ النَّاطِقِ)، أَمْتَمْنِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَشَاهِدُوهَا، سَتَطَّلَعُونَ عَلَى جَانِبٍ يَسِيرٍ مِنْ أَسْرَارِ عَاشُورَاءِ.

- هُنَاكَ طِيٌّ لِلْأَرْضِ وَهُنَاكَ نَشْرٌ لِلْأَرْضِ.
- هُنَاكَ طِيٌّ لِلْمَكَانِ وَنَشْرٌ لِلْمَكَانِ.
- وَهُنَاكَ طِيٌّ لِلزَّمَانِ وَنَشْرٌ لِلزَّمَانِ.

فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ طُبِقَ قَانُونُ (نَشْرِ الزَّمَانِ)، الزَّمَانُ بِحَسَبِ الرَّائِي كَانَ مَحْدُوداً وَلَكِنَّ الْأَحْدَاثَ الَّتِي جَرَتْ كَانَتْ كَثِيرَةً جِدّاً.

إِمَامَنَا السَّجَّادُ وَ(قِصَّةُ دَفْنِ الْأَجْسَادِ الطَّاهِرَةِ) إِنَّهَا وَاقِعَةٌ تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الزَّمَانِ، كَذَلِكَ الْأَمْرُ هُوَ فِي مَا جَرَى فِي مَسِيرَةِ الْعَائِلَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ إِنْ كَانَ مِنْ كَرْبَلَاءِ إِلَى الْكُوفَةِ بِاتِّجَاهِ الشَّامِ أَوْ بِالْعَكْسِ، هَذَا بِرِنَامِجٍ كَأَنَّ يَجْرِي تَحْتِ نَظَرِ إِمَامِنَا السَّجَّادِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، الْأَمْرُ كَانَ غَيْبِيّاً حَتَّى بِالنَّسْبَةِ لِجَابِرٍ، يَقُولُونَ كَيْفَ وَصَلَ جَابِرٌ؟ وَمَتَى وَصَلَ خَبَرَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي قَطَعُوا رَأْسَ الْحُسَيْنِ فَارَ تَرَابَ كَرْبَلَاءِ عِنْدَ أُمِّ سَلْمَةَ وَعَلَا الصَّرَاخُ فِي بَيْتِهَا وَانْتَشَرَ الْخَبْرُ فِي الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّا مَاذَا نَصْنَعُ مَعَ مُرَاجِعِ النَّجْفِ، مِثْلَمَا يَطْمَسُونَ هَذَا الْخَبَرَ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْأَسَانِيدِ اسْتِنَاداً إِلَى قِذَارَاتِ عِلْمِ الرِّجَالِ النَّاصِبِيِّ، نَحْنُ أَمَامَ أَعْيُنِنَا السِّيَسْتَانِيِّ طَمَسَ تَرَبَةَ الْحُسَيْنِ الَّتِي نُقِلَ تَغْيِيرُ لَوْنِهَا عِبْرَ الْأَقْمَارِ الصَّنَاعِيَّةِ، الْحِكَايَةُ هِيَ الْحِكَايَةُ، عَمَلِيَّةُ طَمَسِ وَطْمَرِ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُونَ، إِنَّهُ تَنْفِيدٌ لِلْبِرِنَامِجِ الْإِبْلِسِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَشْرُوعِ الْمَهْدُودِيِّ، يَنْقُذُهُ مُرَاجِعُ النَّجْفِ مِنْذُ أَنْ أُسِّسَ الطُّوسِيُّ حُوزَةَ النَّجْفِ الْقَضِيَّةِ وَاضِحَةً فِي كِتَابِهِمْ، فِي مَنْهَجِهِمْ، فِي وَاقِعِهِمْ الْعَمَلِيِّ، أَكَانُوا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ أَمْ كَانُوا لَا يَشْعُرُونَ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْوَاقِعِ هُوَ هَذَا، وَلَكِنَّهُ وَعَمَقِ سِوَى مَا يَجْرِي لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَسِّنَ الظَّنَّ بِهِمْ.

فَقَدَ فَارَ تَرَابَ كَرْبَلَاءِ فِي قَارُورَةٍ أُمِّ سَلْمَةَ دَمّاً عَيْبِطاً فَعَلَا الصَّرَاخَ وَالْبِكَاةَ وَالنَّحِيبَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ لَقَدْ قَتَلُوا الْحُسَيْنِ، وَجَابِرٌ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ عَلِمُوا بِالْخَبْرِ مِثْلَمَا عَلِمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَفِي اللَّيْلَةِ نَفَسَهَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمَنَامِ وَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ فَشَدَّ الرَّحَالَ إِلَى كَرْبَلَاءِ، الْمُدَّةُ كَافِيَةٌ يَا مُرَاجِعِ النَّجْفِ، أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْفَ طَوِيلاً عِنْدَ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ، هُنَاكَ شَرْعِيَّةٌ غَيْبِيَّةٌ أُسِّسَهَا رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ فَقَطْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ التَّفَاصِيلِ رَسُولُ اللَّهِ جَعَلَهَا تَمْهِيداً لِلْمَشْرُوعِ الْحُسَيْنِيِّ.

المشروع الحسيني في كربلاء بشقيه عاشوراء والأربعين:

الحسين صلوات الله وسلامه عليه وجد أمامه تمهيداً:

- مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَجَدَ الشَّرْعِيَّةَ الْغَيْبِيَّةَ.
- وَمِنْ عَلِيٍّ - حِينَمَا انْتَقَلَ إِلَى الْعِرَاقِ - وَجَدَ الشَّرْعِيَّةَ الْجُغْرَافِيَّةَ وَمَا بَيْنَهُمَا تَتَحَرَّكُ الشَّرْعِيَّةُ التَّأْرِيخِيَّةَ.
- وَمِنْ أُمِّهِ كَانَ التَّأْسِيسَ لِشَرْعِيَّةِ الْمَظْلُومِيَّةِ.
- وَمِنْ الْمَجْتَبَى - فِي شُرُوطِ الْهَدَنَةِ مَعَ مَعَاوِيَةَ - كَانَتْ الْمَقْدِمَاتُ الْأَسَاسِيَّةُ مَا بَيْنَ الشَّرْعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

فِي ظِلِّ كُلِّ ذَلِكَ التَّمْهِيدُ تَحَرَّكُ أَبُو السَّجَّادِ:

- الْجِزَاءَ الْأَوَّلُ كَانَ فِي عَاشُورَاءِ، كَانَ حُسَيْنِيّاً صِرْفاً.
- وَالْجِزَاءَ الثَّانِيَّ كَانَ بَعْدَ عَاشُورَاءِ، كَانَ سَجَادِيّاً صِرْفاً.

وَلِذَا فَإِنَّ الْمَشْرُوعَ الْحُسَيْنِيِّ يَتَأَلَّفُ مِنْ جِزَائِنِ:

- عَاشُورَاءَ الْحُسَيْنِيَّةَ.
- وَالْأَرْبَعِينَ السَّجَادِيَّةَ.
- وَمَا بَيْنَ عَاشُورَاءِ وَالْأَرْبَعِينَ تَكْتَمَلُ تَفَاصِيلُ مَشْرُوعِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وفي الأربعين شرعت زيارة الحسين بشكل رسمي قاطع، وأساس تشريعها غيبي فإن عودة العائلة جاءت وفقاً لما أَرَادَهُ إمامنا السَّجَّاد حيثُ عبرَ على الأسباب، هؤلاء المراجع الذين يحسبون الأحداث وفقاً للحساب الاعتيادي لا يدركون شيئاً من أسرار مشروع الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

وفي الأربعين حضر جابر ومن معه من المدينة والانطلاقه من المدينة كانت غيبية من قارورة أم سلمة ومما رآه جابر حين رأى رسول الله وأخبره بقتل الحسين فكانت الانطلاقه غيبية ومسيره السبايا من الشام إلى كربلاء هي الأخرى كانت غيبية بحسب قوانين الطي والنشر، هذه هي مرحلة التأسيس وهنا شرعت الزيارة للرجال وللنساء وللأطفال فإن الجميع كانوا هناك، عائلة الحسين ومن حضر من نساء الشيعة من مكان بعيد أو ممن هم في جوار ذلك المكان، حضر الرجال، جابر كان ضريراً فحضر الضير وحضر البصير وهناك الأحرار وهناك العبيد وهناك النساء وهناك الأطفال، إنها الزيارة الجماهيرية الشعبية، من هنا بدأ تأسيس زيارة الحسين، ولذا كانت علامة للمؤمن، من هنا كانت البداية ومن هنا كانت الأهمية لهذه الزيارة، لأن الزيارة هذه من لوازم ذلك الحدث المهم.

نحن نقرأ في زيارة عاشوراء في السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين - لم يذكر العباس ولم يذكر غيره، وذكر أولاد الحسين لأجل أن نعرف أن علياً الذي ذكر هنا هو السجاد، إنه سيد الجزء الثاني من المشروع، ربما يقول قائل من أن الحديث هنا عن الذين قُتِلوا من أولاد الحسين، الكلام ليس دقيقاً لأننا إذا أردنا أن نفهم النصوص لابد أن نفهمها من جميع جهاتها وأن ندرس تفاصيل الوقائع والأحداث بحسب ما وردت عنهم صلوات الله عليهم، إننا نتحدث عن سادة الغيب، وعن الذين هم وجه الله فيما بيننا، فحينما نريد أن نتعامل مع نصوصهم ومع حديثهم لابد أن نتعامل وفقاً لرؤيتهم هم، لا لرؤيتنا نحن.

التأسيس تأسيس إلهي:

- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا.
- إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا.

مشيئتهم مشيئته سبحانه وتعالى، هذا هو الجزء السادس والعشرون من (بحار الأنوار) طبعه دار إحياء التراث العربي / صفحة (١٤) من حديث طويل، السَّجَّاد يقول لجابر وهو يحدثه عن معاني الله: **وَأَمَّا الْمَعَانِي فَتَحْنُ مَعَانِيهِ وَمَظَاهِرَهُ فَيَكُمُ اخْتِرَعْنَا مِنْ نُورِ دَاتِهِ وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أُمُورَ عِبَادِهِ فَتَحْنُ نَفْعَلُ بِإِذْنِهِ مَا نَشَاءُ وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللَّهُ وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ اللَّهُ وَتَحْنُ أَحْلُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْمَحَلَّ وَأَصْطَفَانَا مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ وَجَعَلْنَا حُجَّتَهُ فِي بِلَادِهِ فَتَحْنُ نَفْعَلُ بِإِذْنِهِ مَا نَشَاءُ وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللَّهُ وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ اللَّهُ.**

من هنا كان التأسيس لعاشوراء وللأربعين:

- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا.
- إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا.

كُلُّ عنوان له وقته، له بداية، له نهاية، له مكانه، له تفاصيله، ولابد أن يرتبط بواقع وجداني وبتواصل غيبي تتلمسه نحن شيعتهم زوارهم أنصارهم المتوسلون بهم، نتلمس ذلك الغيب ولو من وراء حجاب، تلك هي الحكمة الحسينية المتجلية في الجزأين من المشروع؛ (في عاشوراء وفي الأربعين)، فلا بد أن تعرفوا أن زيارة الأربعين هي غير حدث الأربعين وإنما تأتي في سياق هذا ما يرتبط بمرحلة التأسيس.

مرحلة البناء والتي جاءت بعد مرحلة التأسيس:

الحديث عن البناء بقي مستمراً منذ عاشوراء إلى غيبة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لكنني أضرب لكم مثلاً يختصر المطلوب:

إنه دعاء إمامنا الصادق صلوات الله عليه لزوار الحسين وهو يرسم لنا خارطة البناء العقائدي لهم، هذا هو (كامل الزيارات)، لشيخنا ابن قولويه رضوان الله تعالى عليه / طبعه مكتبة الصدوق / طهران / إيران / صفحة ١٢٥ / الباب الأربعون / الحديث الثاني: بسنده، عن معاوية بن وهب، قال استأذنت علي أبي عبد الله - على إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - فقيل لي ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته فسمعت ينادي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلاتنا وسروراً أدخلوه على نبيك وإجابة منهم لأمرنا وغيتاً أدخلوه على عدونا - إمامنا الصادق يريد من زائر الحسين أن يكون مسكوناً بهذه المضامين لا أن يكون متحركاً عبثاً أو رغبة في السير مع الجموع أو أو، وإنما يكون المحرك هو هذا، فبعد ذلك التأسيس والتشريع لقد شرعت الزيارة بشكل عام لا تحدث عن زيارة الأربعين فقط، إلا أن زيارة الأربعين هي الأساس، من هنا كانت البداية، ومن هنا كان التشريع للزيارة الحسينية بكل أبعادها التي تحدثت عنها كلمات المعصومين، أحاديث هائلة وفيرة وكثيرة عدداً ومضموناً تبين لنا برنامج الزيارة الحسينية، زيارة الأربعين هي نقطة الانطلاق التشريعي للزيارة الشريفة. الإمام يستمر في دعائه والدعاء طويل، إلى أن يقول: اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم لخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشحوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا فأرحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وأرحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين وأرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وأرحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وأرحم تلك الصرخة التي كانت لنا - هذا هو البناء الذي يأتي بعد ذلك التأسيس، السجاد أسس للرجال، وعمته أسست للنساء، وأطفال بني هاشم وأطفال أنصارهم أسسوا للأطفال، وجابر وغير جابر أسسوا وأسسوا، وبداية التأسيس من قولة الحسين: (من أن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يراه قتيلاً وقد

شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا)، التأسيس الإلهي العميق من هناك بدأ، والتأسيس التشريعي لزيارة الأربعين بدأ مع حدث الأربعين الذي كان متوجاً بزيارة السجاد لأبيه سيد الشهداء في العشرين من صفر من نفس السنة، لا كما يقول مراجع النجف، أقوالهم زباله لا قيمة لها.

أقرأ عليكم من (تهذيب الأحكام) للشيخ الطوسي / وهذا هو الجزء السادس / طبعه مكتبة الصدوق / طهران / إيران / صفحة ٥٩ / حديث ٣٧ / باب فضل زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين: عَنْ إِمَامِنَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ: عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ؛ صَلَاةُ الْخَمْسِينَ - وَفِي نُسْخِ أُخْرَى (إِحْدَى وَخَمْسِينَ) وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ - صَلَاةُ الْخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخْتُمُ فِي الْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - صَارَتْ عَلَامَةً لِلْمُؤْمِنِ حِينَ تَكَامَلُ الْبِنَاءُ الْعَقَائِدِي ، وَعَلَامَةً الْمُؤْمِنِ هِيَ فِي نَفْسِهَا عَلَامَةُ الْإِيمَانِ، وَمَا الْإِيمَانُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مَأْمُومًا بِإِمَامَةِ الْحِجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ ، وَمُرْتَبِطًا وَمُعْتَقِدًا وَمُعْتَنِقًا وَمُلْتَمِزًا وَمُتَمَسِّكًا بَوْلَايَتِهِ.

فما المراد من أن زيارة الأربعين علامة المؤمن وعلامة المؤمن هي علامة الإيمان؟!

هذا هو كتاب (الغيبة) لشيخنا النعماني رضوان الله تعالى عليه / المتوفى سنة (٣٦٠) للهجرة / طبعه أنوار الهدى / قم المقدسة / صفحة ٢٥٢ / رقم الحديث (٤٦): بِسْنَدِهِ، عَنْ خَلَادِ بْنِ الصَّقَّارِ، قَالَ: سَمَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - إِمَامَنَا الصَّادِقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - هَلْ وَلدَ الْقَائِمُ؟ فَقَالَ: لَا وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي - هل هناك من وقت أشرف وأعلى وأعظم وأطهر وأبقى من أيام حياة جعفر بن محمد؟ الصادق هو الذي يقول: وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ؛ أَدْرَكْتُ أَيَّامَ إِمَامَتِهِ، وَهِيَ نَحْنُ قَدْ أَدْرَكْنَا أَيَّامَ إِمَامَتِهِ، نَحْنُ مَأْمُومُونَ وَإِمَامِنَا الْقَائِمُ، تَعْرِفُونَ ذَلِكَ أَوْ لَا؟ سَلُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنَا كَمَا أَقُولُ لَكُمْ أَقُولُ لِنَفْسِي أَيْضًا كَمَا صَرَفْتُ مِنْ وَقْتِكَ لِإِمَامِكَ الْقَائِمِ؟ الصَّادِقُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: (وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي) يَعْنِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي فِي الْوَقْتِ مِنْ أَعْمَارِنَا لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ، عَلَى الْأَقْلِ بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ، فَحِينَمَا نَتَحَرَّكُ إِلَى كَرْبَلَاءَ كِي نَزُورَ الْحَسِينَ فِي الْأَرْبَعِينَ لِأَبَدٍ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الزِّيَارَةُ مَهْدُودِيَّةً فِي سِيَاقِ خِدْمَتِنَا لِإِمَامِ زَمَانِنَا وَإِلَّا فَلَا مَعْنَى لَهَا، إِذَا كَانَ الصَّادِقُ لَا يَجِدُ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ خِدْمَةِ الْحِجَّةِ بَيْنَ الْحَسَنِ حَتَّى يَجْعَلَ كُلَّ وَقْتِهِ لَخِدْمَتِهِ فَمَاذَا أَقُولُ أَنَا وَمَاذَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ؟! هل نستطيع أن نقايس بين قيمة أوقاتنا وقيمة أوقات جعفر بن محمد؟! وهو يقول: (وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ - أَدْرَكْتُ الْحِجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ - لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)، فَكُلُّ عَمَلٍ وَكُلُّ عِبَادَةٍ وَكُلُّ طَاعَةٍ لَا تَكُونُ بِهَذَا السِّيَاقِ لَا قِيَمَةَ لَهَا، حَتَّى لَوْ أَنَّهُا أَبْرَأَتْ ذِمَّتِنَا، حَتَّى لَوْ أَنَّنَا لَنُنَا عَلَيْهَا أَجْرًا، الْأَحْرَارُ لَا يَبْحَثُونَ عَنْ أَجْرِ، تِلْكَ بِقَالِهِ! الْأَحْرَارُ يَبْحَثُونَ عَنْ قَرَبٍ، فَارْفُقْ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْقَرَبِ، الْأَحْرَارُ يَبْحَثُونَ عَنْ حَبٍّ وَعَنْ قُرْبٍ وَعَنْ زَلْفَى، الْأَحْرَارُ يَبْحَثُونَ عَنْ مَجَاوِرَةٍ لَهُمْ لَا عَنْ فَاكِهِةٍ يَأْكُلُونَهَا أَوْ عَنْ قَصْرِ يَسْكُنُونَ فِيهِ، هُمُ الْأَحْرَارُ شَيْءٌ آخِرُ.

وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي - كُلُّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُ هُنَا، إِذَا مَا جَعَلْنَا كُلَّ وَقْتِنَا وَكُلَّ مَا عِنْدَنَا لَهُ وَفِي خِدْمَتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ، الْإِيمَانُ أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالْحِجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، وَالْإِيمَانُ يَتَجَسَّدُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ: (بِقَوْلِ فِي اللِّسَانِ يَسْبِقُهُ - يَسْبِقُ هَذَا الْقَوْلُ - عَقْدُ فِي الْجَنَانِ)، وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ الْعَقْدُ فِي الْجَنَانِ وَيَنْطَلِقُ بَيَانُهُ فِي اللِّسَانِ لِأَبَدٍ أَنْ يَظْهَرَ بِعَمَلٍ حَسِي فِيزِيَائِي فِي هَذِهِ الْأَرْكَانِ، وَالْمَرَادُ مِنَ الْأَرْكَانِ أَعْضَاءُ الْبَدَنِ؛ رُؤُوسُنَا، أَيْدِينَا، أَرْجُلُنَا، بَطُونُنَا، فُرُوجُنَا، فَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ؟ حِينَمَا نُوظِّفُ كُلَّ ذَلِكَ فِي خِدْمَتِهِ، قِطْعًا بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ، بِحُدُودِ الْإِمْكَانِ، فَنَكُونُ قَدْ قَارَبْنَا شَيْئًا مِنْ الْمَعْنَى الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ إِمَامِنَا الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: (وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)، هَذِهِ مَرَحَلَةُ الْبِنَاءِ.

وبعد مرحلة البناء تأتي مرحلة الاستثمار.

أنا لا أتحدث هنا عن زيارة الأربعين فقط، إنني أتحدث عن حدث الأربعين عبر مرحلة التأسيس والبناء إلى مرحلة الاستثمار وما قد وصلنا إلى مرحلة الاستثمار.

زيارة الأربعين شيء، حدث الأربعين شيء آخر، لكن قد تتماهى مزامين زيارة الأربعين مع حدث الأربعين، وتلك قضية ليست حسيّة إنّها في عمق الوجدان الإنساني، الحسين صلوات الله وسلامه عليه أراد لنا أن نستنسخ من فيض عاشوراء الحالة الحسينية، إنني إذا قلت من أنني سأستنسخ الحالة الحسينية من الحسين فقد هويت في واد سحيق من الجهل والضلالة المظلمة، مرادي من الحالة الحسينية تلك الحرارة التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أنّها لا تبرد أبدًا، تلك الجدوة الحسينية المتوقّدة بتوقّد المعرفة والعقيدة الصحيحة التي مصادرها محمد وآل محمد فقط، وهذه الجدوة المتوقّدة هي التي تُساعد الإنسان على أن ينسحب من آثار الحالة البهيمية التي هي جزء أساسي في تكويننا، لا نستطيع أن ننسلك عنه، فهي التي تضمن لنا البقاء والنمو الصحيح في أجسامنا وأجسادنا، وتضمن لنا المحافظة على الصحة والسلامة، وأن نداوم الطعام والشرب بالشكل المناسب وأن نتناسل وأن نتزوج وأن وأن، الحالة البهيمية هي جزء أساسي في وجودنا لكنها قد تكون طاغية إلى الحد الذي تجرنا بعيداً عن ساحة البصيرة والوضوح، الحالة الحسينية تُساعدنا أن ننسحب ولو بشكل مناسب من ضغط آثار الحالة البهيمية إلى جو إنساني مفعم بوجود نظيف، تلك هي نفحات يمكننا أن نتلمسها في بعض ما نُقل لنا عن أحوال أنصار الحسين، فهم خرجوا من آثار الحالة البهيمية وراحوا مفعمين بالحالة الإنسانية في عمق وجدان نظيف ولذا نخاطبهم في الزيارات: (يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَسِ)، هذا الدنس هو آثار الحالة البهيمية التي تكون طاغية في الحياة اليومية، بسبب غفلة الإنسان وضعفه وهوسه بأمر الدنيا في شتى جهاتها المختلفة، أنصار الحسين بسبب قربهم من الحسين استطاعوا أن يتجردوا عن تلك الآثار وراحوا مفعمين منغمسين في أعماق حالاتهم الوجدانية النظيفة الطاهرة.

- حدّثكم عن مرحلة التأسيس.

- وحدّثكم عن مرحلة البناء.

- وبعد التأسيس والبناء يأتي الاستثمار.

الجزء الثامن والتسعون من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي / طبعه دار إحياء التراث العربي / صفحة (١١٤) / الحديث السادس والثلاثون، نقله عن الصحيفة الرضوية: عن الرضا عن آباءه صلوات الله عليهم، عن إمامنا السجاد: كَأَنَّي بِالْقُصُورِ وَقَدْ شِيدَتْ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَكَأَنَّي بِالْأَسْوَاقِ قَدْ حَفَّتْ حَوْلَ قَبْرِهِ فَلَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَسَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ وَذَلِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَلِكِ بَنِي مَرْوَانَ.

الرواية نقلها الشيخ المجلسي (عن عيون أخبار الرضا) في الجزء الحادي والأربعين من البحار أيضاً، صفحة (٢٨٧)، الحديث التاسع: عَنِ إِمَامِنَا الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: كَأَنَّي بِالْقُصُورِ قَدْ شِيدَتْ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَكَأَنَّي بِالْمَحَامِلِ تَخْرُجُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ - الْمَحَامِلُ هِيَ وَسَائِلُ النَّقْلِ الْمَرِيحَةُ - وَلَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى يَسَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ وَذَلِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَلِكِ بَنِي مَرْوَانَ - هُنَا مَفْرَدَةٌ تُضَافُ (وَكَأَنَّي بِالْمَحَامِلِ تَخْرُجُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ).

قد يقول قائل: ربما تكون الرواية تتحدث عن نهاية ملك بني مروان حينما أسقط العباسيون دولة بني أمية وقضوا عليها، ولكن هذه الأوصاف ما حدثت، ربما ذهب كثير من الناس - بالقياس إلى ذلك الزمان - لزيارة الحسين ولكن من دون هذه الخصائص التي تحدثت عنها هذه الروايات، لأبداً أن تلتفتوا إلى هذه النقطة: حينما نقول القصور قد شيدت والأسواق قد حفت به والمحامل خرجت من الكوفة إليه لا بد أن يكون ضريح الحسين بناء عظيمًا، فهل كان ضريح الحسين بناء عظيمًا بعد سقوط الدولة الأموية، هذه الأوصاف لم تتحقق طيلة التاريخ لأن كربلاء إلى زمان الدولة العثمانية كانت مدينة صغيرة.

هذه الأوصاف تتحقق الآن، القصور تُشيد حول قبر الحسين والأسواق تحف به والمحامل تخرج من الكوفة إليه والناس تسير إليه من الأفاق بعد مرور الأيام والليالي، وممرت الأيام والليالي وسارت الناس من الأفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان.

لن أذهب بكم بعيداً سأقرأ عليكم من كتاب: مذكرات سياسي عراقي/ بقلم حردان التكريتي وزير الدفاع العراقي السابق / دار الزهراء للإعلام العربي / كتب لهذه المذكرات مقدمة أحمد رائف / تاريخ الطبع ١٩٩٠ ميلادي / صفحة (٣١) وما بعدها، حردان عبد الغفار التكريتي يقول: بعد أسبوع واحد من حركة ٣٠/ تموز ١٩٦٨ - الانقلاب كان في (١٧ / تموز)، ولكنهم في (٣٠ / تموز)، انقلبوا على أشخاص كانوا قد اتفقوا معهم أن يكونوا جزءاً من الحكومة، البعثيون انقلبوا على النابف وعلى الداوود، لا شأن لي بهذا الكلام، أنا أريد أن أصل معكم إلى نقطة مهمة، إلى أن يقول: ويجدر بالذكر أن الرئيس - أحمد حسن البكر - رفض تلك الليلة أن يقوم بزيارة ضريح سيدنا الحسين رغم إصراري عليه مؤكداً بالحرف الواحد - البكر الرئيس - أنا لا أعتقد بالحسين فهو كان يستحق القتل بسبب تمردده على حكومة يزيد، وعندما قلت له: ولكن العباس كان مع الحسين في كربلاء وقد قُتل معه وربما في سبيله! قال: هذا صحيح، ولكنني أعتقد أن الحسين غرر بأخيه العباس فقد جلبه معه على أساس أن يصبح ولياً للعهد ولم يكن إخلاصه إلا للخوة العربية التي كان يتمتع بها، ولا أدري بالضبط من أين كان يأتي بمثل هذه النظريات التي كان يتحفنا بها من حين لآخر.

إن التاريخ يكشف عن تفاصيل قضية الحسين ولكن الرئيس - يعني البكر - كان يصر على مخالفة التاريخ وليس هنا فقط بل في كل تحليلاته التاريخية تقريباً، فقد كان يعتقد مثلاً أن الخوارج كانوا يمثلون الروح الثورية العربية الصادقة، وكان يقول: لو كنت في عصر علي بن أبي طالب لهما وسعني إلا الانخراط في صفوف الخوارج، والواقع فإن الرئيس متأثر جداً بشخصية معاوية بن أبي سفيان ولذلك فإنه يحمل حقداً أسود لعلي بن أبي طالب، وليس إهماله لمدينة النجف إلا نتيجة هذا الحقد - هذا هو حال البعثيين وهذا هو حال رئيس الجمهورية الذي يصفه العراقيون بأنه أهون من بقية البعثيين!

ما جرى في (خان النص) ما بين النجف وكربلاء؛ حينما منعوا خروج المواكب والزوار من النجف إلى كربلاء في زيارة الأربعين، هناك ضابط برتبة عسكرية عالية جاء من بغداد إلى القوات العسكرية التي دفعوها باتجاه المواكب قبل أن تتحرك تلك القوة العسكرية هذا الضابط القادم من بغداد كان يقول لقاتل تلك القوة: من هذا الذي في كربلاء مدفون وهذه المواكب تتحرك باتجاهه؟ قال: الحسين، قال: وهؤلاء القادمون - أشار إلى جهة خان النص- ماذا يطلق عليهم؟ قال: هؤلاء الأنصار، قال: أنصار من؟ قال: أنصار الحسين، قال: هذا الحسين وأنصار الحسين هنا، قال: يزيد في بغداد - يشير إلى أحمد حسن البكر - وأنا عبيد الله بن زياد - باعتبار رتبته عالية - وأنت عمر بن سعد فدونك الأنصار.

المنطق نفسه الذي كان يتحدث به حسين كامل حينما كتبوا على الدبابات: (لا شيعه بعد اليوم)، وخاطب الحسين: (أنته حسين وأنا حسين ونريد نشوف يا هو الي يثبت على أرض الواقع)، ذهبوا جميعاً، وبقي الحسين.